هيمنة غرض الغزل في العصر الوسيط
شعراء العراق و الشام أنموذجا

أ . م . د زينب فاضل أحمد النعيمي

زينة محجوب حسين علوان

الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الأساسية

الغزل

من أقدم الفنون الشعرية عند العرب، فهو غرض وجداني[1]، قريب مِنْ النفس الإنسانية جلي بفطرتها، وفن محبب لصيق بحياة المرأة والرجل، فهو محور العلاقة بينهما، لأن المرأة ((مصدر للحب والجمال والمتعة فحسب ولكنها كونٌ ممتلئ فرحاً، وحزناً، وخصباً، وجدباً، ودنيا يتصافح عندها الشاعر مع الزمن والموت))[2]، لذا سعى الرجل ومنذ الأزل إلى رِضا المرآة والتقرب إليها والتغّني بِجمالها مِنْ خَلَقَ وخُلُق فشغلت تفكيره و الهبت خياله حتى بات يتغنى بها في كل عصر بأجمل ما نظم فيها، حتى أصبح التحدث والتودد اليها، ووصف ملامحها، فنا شَعريًا منفردا بها دون الرجل[3].

وقد تداخلت تسميات ومصطلحات أعطت لهذا الفن قدراً من الشمولية والاتساع بنظمه، تمازجت وانصبت كلها بمعنى واحد من غزل وتغزل و ((نسيب يهتم بوصف مشاعر وأحاسيس قائله تجاه من يحب، وتشبيب يهتم بوصف مفاتن المحبوبة))[4]. في شريان نابض في جسد الشعر العربي[5].

وبوصف الغزل عاطفة إنسانية تلبي نداء القلب، اشترط النقاد أن يكون ((حلو الألفاظ رسلها، قريب المعاني سهلها، غير كزٍّ ولا غامضٍ، وأن يختار له من الكلام ما كان ظاهر المعنى، ليّن الإيثار رطب المكسر شفّاف الجوهر، يطرب الحزين، ويستخفّ الرصين))[6]؛ لأن على المتغزل أن يكون لطيفا رقيقا ظريفا مراعيا لنفسية المرأة وما يجذبها إلى الرجل لذلك يقال ((في الإنسان أنه غزل أذا كان متشكلا بالصورة التي تليق بالنساء وتجانس موافقاتهن لحاجته إلى الوجه الذي يجذبهن إلى أن يملن إليه والذي يميلهن إليه هو الشمائل الحلوة، والمعاطف الظريفة، والحركات اللطيفة والكلام المستعذب والمزاح المستغرب))[7].

وبهذا التظرف والترقق باللفظ والمعنى كشف هذا الغرض عن حقيقة النفس العربية التي تحب بكل صدق وعبر فيه الشعراء عن حبهم بقصائد أو مقطوعات بأنماطه المختلفة حتى

ولج إلى بقية الأغراض ليكون مترأسا مقدمات القصائد لتهيئة الجو المناسب للدخول إلى الغرض الشعري.

لقد شغل غرض الغزل حيزاً كبيراً و واسعاً في شعر هذه الفترة ((حتى ليكاد شطر الإنتاج المنظوم إلا قليلا))[8]، مدفوعا بظهوره إلى الأوضاع الاجتماعية السائدة في هذا العصر، فاستقرارها في بيئة الشام حفزت على نظم شعر الغزل وبحفاوة كبيرة، على أن الوضع في العراق قد اختلف قليلاً، الا أن سمة الغزل عموماً متشابهة في العصور ما بين المحاكاة و التقليد لغزل العصور التي سبقتهم، و الانفراد بنظمه دون الاغراض الشعرية الأخرى[9].

وبصدد دراستنا للموازنة بين شعراء العراق والشام وهيمنة غرض الغزل على شعرهم وبعد جرد الدواوين الشعرية التي وقعت بين ايدينا، نجد إن الهيمنة الشعرية عند الشعراء كانت كالاتي:

اسم الشاعر	البيئة	النسبة المئوية	الدخول مباشر	الدخول بمقدمة	المقاطع	الفنون المستحدثة
ابن زيلاق الموصلي	العراقية	%70,21	10	-	35	2
عز الدين الموصلي	العراقية	%52,77	1	-	17	9
ابن ظهير الأربلي	العراقية	%33,42	14	-	51	-
شهاب الدين التلعفري	العراقية	%55,60	40	-	150	55
نجم الدين بن سوار الدمشقي	الشامية	%51,03	40	-	175	52

وكانت النسب المئوية من حيث بنائية الغزل، متفاوتة عند الشعراء فنجد أن عدد القصائد عند الشاعر العراقي بلغت (65) قصيدة تضمنت (350) بيتاً شعرياً تراوح عدد أبياتها من (10–20) والمقطوعات بلغ عددها (253) مقطوعة بلغ عدد أبياتها (462) بيتاً شعرياً والموشحات الغزلية بلغ عددها (7) موشحات، بينما الشاعر الشامي بلغ عدد القصائد (40) قصيدة تضمنت (1776) بيتاً شعرياً تراوحت أطوالها مابين (10–35) وعدد المقطوعات (175) مقطوعة وعدد ابياتها (805) بيت شعري والفنون المستحدثة (52) فناً توزعت بين الدوبيت والمواليا[10].

ومن الملاحظ على غزل العصر الوسيط هو تأسسه لهوية خاصة ومستقلة تنهض بالموضوع الواحد ذي التلوينات المتعددة والمتداخلة، فـ((لم يكن لقصيدة الغزل بناء واحد مطرد، فهي إما جزء من قصيدة في غرض من الأغراض وهي ما يعرف بالمقدمات، وإما

قصيدة مستقلة بذاتها تتفاوت طولا وقصرا بتفاوت الشعراء وتجاربهم، وإما مقطوعة في أبيات محدودة، وهو أكبر تطور آلت إليه قصيدة الغزل عند أكثر الشعراء))[11].

وبعد أطلاعنا على دواوين الشعراء والتي هيمن عليها غرض الغزل نجد تنوع ألوان الغزل تنوعا لا يمكن حصر حدوده، فعلى مستوى المواضيع (الحب، الهجر، الشكوى، الأماني، الحزن، العتاب، وغيرها ..... موجوداً) وعلى مستوى الوصف وصفوا محاسن الحبيب إذ شبّهوا وجهه بالبدر والشمس وشعره بالليل، ورحيق الثغر بالخمر، ونظرات العيون بالسهام والحواجب بالقسي، وقدّه بالرماح وصدغه بالعقرب، وجعلوا أعين الرقباء خفية في نظاراتها الحاقدة والحاسدة، فضلاً عن التغزل بالأعرابيات والجواري والغلمان وسط انماط ثلاثة للغزل العذري والحسي والغزل بالمذكر وما نظم ليكون في مقدمات القصائد لتهيئة الجو المناسب للدخول إلى الاغراض الشعرية الاخرى[12]، في نمط سبق أن وقفنا عليه في بنائية القصيدة في المديح السياسي والديني.

المبحث الأول: الغزل العذري(المعنوي)

ولعل الغزل العذري من أولى تلك الانماط الغزلية التي ظهرت في غزليات الشام والعراق ويكمن هذا اللون بالحب الصادق لامرأة واحدة حتى الموت[13]، في أكثر الوان الغزل شهرةً ((وأكثرها رواجاً وامتاعاً))[14]، كونه ممثل خلجات النفس الإنسانية والمشاعر الفياضة المنبعثة من الشاعر صوب المرأة، يشكو أحزانه، وما يعانيه ويكابده من الآلام، وهذا الذي وجدناه عند الشاعر نجم الدين بن سوار الدمشقي[15] في قوله [16]:

أفدي التي عزَّةٌ هـــواها وفي ســـــواها الغرامُ ذلهْ

إن الشاعر الشامي مرهف الحس في التعبير عن عواطفه، وهي سمة برز فيها في غزله العذري كقوله ايضاً[17]:

يا أحسنَ الناسِ في خَلْقٍ وفي خُلُقٍ ومن غدا ولِسانُ الكــونِ شاكِرهُ
عَمرتَ قلبي فـــــــلا شوقٌ يُخرِّبُه وكيفَ يَخْــربُ قلبٌ أنتَ عامِرهُ
وما نَسيتُ وذكـــــري أنت مُظهِـرهُ وكيفَ ينسى مُحبٌّ أنت ذاكـرهُ

فالشاعر يتغزل بالمرأة واصفاً ملامحها دون أن يحفل بجمالها الظاهري، فهو يرى بجمال المرأة معانٍ سامية يجب احترامها.

ويبدو أن سلطان الحب قد تملك الشاعر الدمشقي لتتأجج في نفسه العواطف، فهو يصف ليال الوصال الشاهدة على حبه للمرأة وكيف كانت متهللة ومستبشرة بذلك التواصل العاطفي في بنائية جديدة للشعر، بقوله[18]:

يا ليلةَ وصلٍ طابَ فيها السَّهــرُ لا فرقَ ماجمعتْ منا السَّحَرُ
دُومي وتَطاولي عــداك القِصرُ والشّمسُ لَدينا حاضِرٌ والقمرُ

فالشاعر وظف الدوبيت بلفظته الفارسية لمعنى البيتين، والرباعية في العربية في فن استحدثه شعراء العصر الوسيط في بنائية وموسيقى جديدة لشعرهم[19]، ورسم به جمال ليلته الساهرة مع الحبيبة.

في نمط عذري يُعنى بخبايا النفس والروح بعيداً عن الماديات، لذا يتغزل الشاعر العراقي بأبيات ونصوص جميلة ومؤثرة، كنظيره الشامي في هذا اللون ومن هؤلاء الشعراء التلعفري[20] يقول [21]:

لـــو نالنا منكِ يا لمياءُ إسعافُ ما ضرنا منكِ عند الهجرِ إسـرافُ
لكن صددتِ وما قدمت صالحةً ومن شروط الهوى جورٌ وإنصافُ
ايام هجرك أعــوامٌ إذا حسبتْ على الحقيقـــــةِ والآحادُ الافُ

ويكشف ابن الظهير الأربلي[22]، عن فقدانه للنعيم منذ رحلت محبوبته قائلاً[23]:

خَلِّ الهوى لفريقهِ فنُفــوسُهم لسواه لا تهـــــوى ولا تَتَعَشَّقُ
والله ما خطر النعيمُ بخاطري مُذ بانَ مَنْ بمُحبـــــهِ لا يَرفقُ

فهذا الفراق والصد زاد من لوعة الشاعر وحزنه على بعدها.

ومن صور الهجر والندم والألم قول الشاعر العراقي ابن زيلاق الموصلي[24]:

سل عن فؤاد بنار الهجر تحرقه وناظر بتجنيه تـــــــؤرقه
ولا ترج سلواً من غريم هــوى موكل بجديد الصبر يخلقه

كما يرى الشاعر الشامي نجم الدين الدمشقي أن هجر الحبيب يكون أحيانا كثيرة بغير ذنب بخاصة ((باجتراء العشاق واختيارهم فسرعان ما يندمون على هذا الصنيع أشد الندم ويأسفون على تضيع حظوظهم أشد الأسف))[25]، قائلاً[26]:

فقدَ الصَّبُّ في هــواكَ مُعينهِ غير دمعٍ أَضحى الفؤادُ جُفونهْ

وتجافيتَ عنه من غيرِ جُـرمٍ فتجافى طيبُ الرُّقادِ جُفـــونهْ

ويرى الشاعر العراقي التلعفري أن هذا الهجران يؤدي إلى زيادة الاحزان بقوله[27]:

هجرانك الأحزانُ قد قُرِنتْ به ورِضاكَ قد قُرنتْ به الأفــراحُ

شقيتْ بـــكَ الأجسامُ إلا انها سعدتْ براحةِ عِشقِكَ الأرواحُ

إن ((الترويع بالفراق هو السهم الذي لا يعدل عن مقاتلة العشاق، من رمى به من المحبوبين أصاب ومن دعي به من المحبين أجاب))[28]، كقول الشاعر العراقي ابن الظهير الأربلي[29]:

أأَحبابنا ما حال عهدُ مشـــوقِكم ولا حلَّ كفُّ الغدرِ عِقْدَ وفائهِ

وعبدُ هواكمْ من نواكُمْ على شفا بلىً فتـــلافوا عبدكم لشفائهِ

فالشاعر يتساءل عن حاله بعد فراق احبته ويترجى منهم العودة فبرؤيتهم يشفى من مرضه.

ونجد اللوعة والحزن بفراق الاحبة في قول ابن زيلاق[30]:

لـــو رعى من أحبه حين سارا مهجاً في يد الغـــرام أسارى

أيها السائـــق الركائب يحملن الشمـــوس الحسان والأقمارا

قف قليلاً فقد نفضت من المقـ ـلة نوراً أو زدت في القلب نارا

فيميل الشاعر إلى رسم صورة مملؤة بالآلام لهجر المحبوب وهو يطلب رضاه من بعد تلك الأيام التي تنعم بطيبة عيشها، فهو يميل إلى اظهار حسن الحبيبة في البيت وليس الشكوى فقط.

بل ويعمد الشعراء بغزلياتهم إلى أسلوب التوسل وصولا إلى حد التذلل، ليستعطفوا النفوس ويجذبوا القلوب لمعاناته في الحب، وهو نمط تقليدي دأب الشعراء على وصفه وصولا إلى العصر الوسيط، فهذا الشاعر الشامي نجم الدين الدمشقي يتوسل بمحبوبه بعد الهجر قائلاً[31]:

يا هاجري مالي ســـوا كَ إليكَ من يـــدِكَ المفرُّ

قاطعتني فـــوصَلتُ أحـ ـزاني فَقلـــبي لا يُســرُّ

قد كان طعمُ العَيشِ حُلْـ ـوا وهـــو منذ هَجرتَ مُرُّ

أُخفي هـــواكَ وقد جُنِنْـ ـتُ فـــلا أَقـَرُّ ولا أُقِرُّ

وَأذوبُ من شـوقي وحيـ ـنَ أراكَ من بُعـدٍ أُسـرُّ
حسـدتني الأيـامُ فيـ ـكَ وشَأنُها حَسَدٌ وغَـدرُ

إننا نلمس تأثير حب المرأة على الشاعر، بما يدفع موقفه الفكري والشعوري إلى التذلل بوصالها. ولتحقيق ذلك يستعين الشاعر الدمشقي بوسائل تعينه على ذلك الفراق وتحميه من عيون الحاسدين والعذال، بأن يتمنى حضور طيف خيال محبوبه، لزيارته ليلا قائلاً[32]:

عسى الطَّيفُ بالزَّوراءِ منـكَ يـزورُ فقد نامَ عنه كاشِـحٌ وغَيـورُ
وكيفَ يزورُ الطَّيفُ طَـرْفاً مُسهَّداً له النجمُ بعد الظاعنين سميـرُ
سَروا في ضياءٍ من شُموسِ خُدودِهِم كأنَّ سُراهمُ في الظـلامِ منيرُ
ظعائنُ تغـزوا الجيشَ وهي رديفـةٌ عليهنَّ من سُمرِ الـرِّماحِ ستورُ
إذا نزلـوا أرضاً تـولتْ مُحـولُها وأضحتْ وفيها رَوضـةٌ وغديرُ

وقد أحب الشعراء طيف الخيال كثيراً وتغنوا به؛ لأنه ((زيارة من غير وعد يخشى مطله ويخاف ليّه وفوته، واللذة التي لم تحسب ولم ترتقب يتضاعف بها الالتذاذ والاستمتاع، وإنه وصل من قاطع، وزيارة من هاجر، وعطاء من مانع، وبذل من ضنين... وجود من بخيل))[33]، والشاعر هنا يتمنى زيارة الحبيب في المنام بعد طول الفراق ولوعة اشتياقه له، متسائلا عن كيفية الزيارة وهو يسامر النجوم طوال الليل بعد مفارقة النوم، مصورا تلك الزيارة واللوعة بالاشتياق بمشهد قتالي بـ(الجيش، الرماح، السير).

وكان لطيف الخيال حضورٌ لدى الشاعر العراقي في غزلياته فهو كنظيره الشامي تعجب من ((زيارة الطيف على بعد الدار وشحط المزار ووعرة الطرق))[34]، كقول الشاعر العراقي ابن الظهير الأربلي[35]:

للهِ طيفُك ما أَشدَّ حِفاظـه يُـوفي بعهدِ أخي الحِفاظِ ويَنْكُثُ
ليلي بزورتهِ كخَطفـةِ بارقٍ يا ليتَ ليلي حين يَطـرقُ يمكثُ
لي كُلَّما وافى على كبدي يدٌ ويدٌ بأَذيالِ الـدُّجى تتشبثُ

فأستقبل الشاعر هذا الزائر الطارق بالترحاب؛ كونه يمثل الحبيبة الغائبة مع فرصة الاختلاء بها أو الظفر بلقائها شاكيا ومعاتبا هذا الجفاء والهجران منها.

ويتمنى الشاعر العراقي التلعفري زيارة طيف الحبيب ليلاً لكونه ((لقاء واجتماع لا يشعر الرقباء بهما، ولا يخشى منع منهما والتهمة بهما زائلة، والريبة عنهما عادلة، وأنه تمتع وتلذذ لا يتعلق بهما تحريم ولا يدنو إليهما تأثيم ولا عيب فيهما ولا عار))[36]، ومن ذلك قوله[37]:

أيُّ طيفٍ يزورني منك في الليَّـ ... لِ وعيني لم تدرِ كيف المنامُ؟
لكِ مني حشاشـــــةٌ ذهبتْ وجـ ... داً وسمعٌ ما جازَ فيه المــلامُ
ما على العاذلين منـــــكِ ومني ... أنا صبٌّ ومغرمٌ والسَّـــــلامُ

فالشاعر ينتظر زيارة الطيف من المحبوبة لكونه الأنيس والونيس السمير النديم، ويعد التعرض لوصف الحبيبة وجمالها وسط شكوى الشاعر من خصوصيات الشاعر نجم الدين الدمشقي كما وجدنا مثيله الشاعر العراقي ابن زيلاق الموصلي وسط زيارة طيف الحبيبة، كقول الشاعر الشامي نجم الدين الدمشقي[38]:

رأيتُ طيفكَ في نومي يُلاطفني ... كيما يصيدَ فؤادي أيُّها القمــرُ
فإن يكــن ذا أنيسا أنت قاصـده ... فقد ظفرتَ بـه فليهنيكَ الظَّفـرُ
وإن يكن ضِغثَ حلـمٍ لا ثباتَ له ... وليس عندكَ مما قلتـــــهُ خبرُ
فانعم عليَّ وأسترْ ما كتبتُ بـــهِ ... إليكَ فالحـــــرُّ مما رابَ يستترُ

إن العذاب المتمخض من فراق الأحبة و وجود الطيف بوصفه بديلاً مؤقت لهم دفع الشعراء إلى مسائلة كل ما يحيط عنهم، فهذا الشهاب التلعفري يسأل البرق عن حبيبته بعد أن كانت في الشام، ففارقته، قائلا[39]:

ســـــلِ البرقَ عن لمياء أين استقلتِ؟ ... تُرى أيَّ دارٍ بعـــــدِ تيماءَ حلّتِ؟
لقد أصبحتْ منها رُباها عـــــــواطلاً ... فيا ليتَ شِعـري أينَ حَلّتْ وحَلَّتِ
أمرَّتْ وقدْ مـرَّتْ بها العيسُ في السُّرى ... تُباري حياةً كـــــم بها قبلُ حلِّتِ
بكيتُ فحـــرمتُ الميـــــاهَ ورودهـــا ... ولو لم تُخالِطها دمـــــوعي لحلَّتِ

وبتعاطفنا مع لوعة الشاعر التي ازدادت بجريان دمعه كجريان الماء في تشبيه حزنه لرحيل لمياء، يستوقفنا ذكره (لمياء) في مسميات تقليدية لنساء عرفن بعرائس الشعر[40]، في حقيقة لا وجود لها في حياته، لأن شعراء العصر الوسيط لم يذكروا صراحة اسم محبوباتهم، فلم تشتهر قصة حب صريحة لشاعر معين أو ارتبط اسم امرأة بتجربته الشعرية مثلما سبق

في العصور السابقة كقصة عنترة وعبلة وقيس وليلى وجميل وبثينة[41]، وبرغم ذلك كانت تلك المسميات من أهم البواعث التي أذكت الغزل وافحمت أحاسيس المتلقي فعبر الكثير من الشعراء عن مشاعرهم بهذه المسميات كونها العماد الأول الذي يقوم عليه الغرض الغزلي[42]، يقول الشاعر العراقي ابن الظهير الاربلي في غزله[43]:

ليالي ترعى العهد (لمياءُ) في الهوى وتصبوا إلى وصلي سليمى وزينبُ
تقضتْ على رغْمي قِصاراً حميـــدةً فَبُعداً لِنفسٍ بعـــدها ليسَ تذهبُ

إن توظيف تلك المسميات كان متداولا لدى شعراء الشام ايضا، في آنحسار تام للمرأة في ظل الاعراف والتقاليد المجتمعية التي ازدادت في ظل الاحداث والغزوات، وانحراج الشاعر لذكرها خوفا من أن تطال سمعتها بأذى، والشاعر نجم الدين الدمشقي يتشوق لمحبوبته زينب متسائلاً عنها قائلاً[44]:

بـــرقٌ بـــــدا أم زينبٌ تتبسَّمُ أم نارها بلـوى المحصّب تُضرمُ
يا راحـــــلاً لبس الهجيرَ مُلاءَةٌ عجلانَ يظهرُهُ السّـــرابُ ويكتمُ
بأبيكَ إن جُزْتَ الغويرَ فعجْ على قـــومٍ بمُنعرجِ الثنّيةِ خيّمـــــوا
واقـرِ السَّلامَ عليهـــمُ من نازحٍ يشتاقُ أنُ يُقرى التَّحيَّةَ عنُهـــمُ
أأحَبَّتي الشَّاكين طـول تباعدي صبـراً لعلَّ الدَّهرَ يُدني منـكُمُ

إن الفراق والابتعاد هما ما يثيران مشاعر الشاعر، ويجعلانه دوما معانيا متسائلا عن زينب برحيل أو فراق مترجيا من الدهر أن يعيد تلك الأيام التي عاشها في المحصب والغوير بالقرب منها، ودائما نجد في شعر نجم الدين الدمشقي وصف جمال الحبيبة وسط آلامه وشكواه.

ومن الملفت للنظر في هذا العصر ذكر المدن والديار للرمز إلى المحبوبة ليعطيها الخصوصية في ثنايا تغزله بالمرأة، فعلى الرغم من ولع شعراء هذه الفترة ((باتخاذ جزيرة العرب مسرحاً لأوطانهم المزعومة فمثلوها على العقيق واللوى ونعمان.....))[45]، الا انهم سعوا إلى جعلها انموذجاً للغزل ومنفذا يبثون فيه ((حزنهم يناظرون –فيها– بين مشاعرهم ومناظرها))[46]، ويبدو أن الشاعر العراقي التلعفري قد مزج هذا الغزل في شوقه للأحبة قائلاً[47]:

أحبابنا بنـــواحي الغـــــوطتين سقى ربـــــوعكم وابـلُ مِنْ دَمعي الذَّرفِ

قد كنتُ قبلَ النَّـوى أشكو الصُّدودَ فَوا لَهفي على الصَّد يــومي ذا ويا أسفي
جادتـكِ يا ساحتي جيرونَ ساريـــــــةٌ منَ السَّواري الثِّقالِ الـوكَّفِ الـوطُفِ

فيقرن الشاعر تشوقه للغوطة في الشام، بشوقه لأحبته فذكر المكان لارتباطه بالحبيبة، وسط البكاء على فراقهم ومتأسفاً على أيام الصد والهجر من محبوبته ومتمنياً عودة تلك الأيام.

ويتفق الشاعر الشامي نجم الدين الدمشقي مع نظيره العراقي في أن حاجته للاماكن حاجة روحية في الاساس تتصل بمعاناته بالحب، قائلا[48]:

يا لجيـراني على وادي مِنى جارَ ذا البيـــنُ علينا وجَنـى
فعسى لمــعُ سنا مِن نارِكـــم تهبُ الجفنَ القَـريحَ الـوسنا
فلقـد غـــادَرَني مِن بَعدكـــم شبحاً أصلـحُ حاليـــهِ الضَّنا

فيشكو لوادي المنى أحبته ممن سكنوه واصفاً جور الأيام بعد رحيلهم بقطعهم للوصال رغم احتفاظ قلبه بذلك الحب.

أن ارتباط الغزل بالأماكن بذلك العمق، قد يوجه دفة الشعراء بالرمز للحبيبة من خلال ذكر المكان، لأن ((التصاق الشعراء بالأرض والوطن كان التصاقاً حقيقياً، لأنهم وجدوا في الأرض هناء وطيبا ولمسوا بين وديانها عطاء، فنما حبها نماء انسانيا خالصا))[49]، لتغدو بأمكنتها الوجه الاخر للمرأة، فيمسي الحنين لها حنينا للمرأة والقرب منها وبهذا المنحى ينبري الشاعر العراقي ابن زيلاق قائلا[50]:

أدمشق لا زالت تجـــــودكِ ديمة ينمى بها زهر الرياض ويـونق
أهـوى لك السقيا وأن ضن الحيا أغناك عنـه ماؤك المتـــــدفق
ويسر قلبي لـــــو تصح لي المنى أني أنال بـك المقام وأرزق

فهو يرمز للحبيبة بدمشق كونها دمشقية في شوق لرؤياها والحنين لايامه معها وسط تلك الربوع المخضرة والماء المتدفق منها. ويؤكد التعلفري هذا المعنى معلنا أن وجود الأحبة في تلك المدن هو من دفعه إلى التشوق لها وذكرها صراحة في غزله، قائلا [51]:

يا صاحِ دعني من ذكر العقيق ومن منازلٍ ليسَ لي في نعتهـــا شـأنُ
مالي وما لربـــــــوعِ لستُ أعرفها ما الحـــبُّ نُعمٌ ولا الأوطانُ نعمانُ

لـــولا الـــروادفُ تهتزُّ القدود بها ما شاقني الـــرَّملُ من يبرين والبانُ

إن ذكر المدن كان وسيلة من وسائل الشاعر في التعبير ((عن ذاته وعواطفه، ومتنفساً دقيقاً عن همومه، وفيضاً عفوياً زاخراً لحياته الوجدانية المتقلبة))[52]، في بعد نفسي واضح لدى شعراء العصر، كقول الشاعر الشامي نجم الدين الدمشقي[53]:

أحنُّ إلى أرض الحجاز ومن بها حنينَ مُحبٍّ غابَ عنه حبيبهُ

وأشتاقها شـــــوقَ العليلَ لِبرئهِ وقد كلَّ آسيـــه وملَّ طبيبـهُ

كما نجد ذكر شعراء الشام والعراق للوشاة والحساد بوصفهم عنصراً مهماً من عناصر التغزل بالمرأة وعدهم منبراً للحديث عن انفسهم وما يكابدونه من معاناة في الحياة والحب، فها هو الشاعر الشامي نجم الدين الدمشقي يبث شكواه في موشحة غزلية قائلا[54]:

أنا بالأشجانِ مُشْتَهَـــــرُ لستُ منهُ الدَّهـــرَ أعتذِرُ

فوُشاةُ الحَيِّ لو نظـــروا بعضَ ما أُخفيهِ في جلدي

من غرامي فيكَ ما سَلِموا

ليسَ يشكو للهـــوى أَلما عاشِـــقٌ يستعذِبُ السّقما

لو غـــدا وجدانـــهُ عدما ما صَحا من سَكـرةِ الكَمَد

وكذا من شأنهُ الكـرمُ

يا غـزالاً في الحشا سنحا فيكَ يحلو الـــوجدُ والبُرحا

ما عسى لـــو زرتَ مَطّرحا يبلغـــــوا العُذّالُ بالحسدِ

فيصرح الشاعر وسط ذكره (الوشاة–العذال) بحزنه العميق من فراق الحبيبة وهجرها له متمنياً زيارته حتى لو في المنام.

ويعي الشاعر بخطر الوشاة والعذال في غرامه فهم لم يتذوقوا الحب مثله، لذا فهم لا يقدرونه بل يميلون إلى الفتك به اينما وجد يقول الشاعر العراقي ابن الظهير الأربلي [55]:

يا عاذلي فيـــــه وفي سُكانه قَدْ كنتَ تَعْذُرني لَو انك تَعْشقُ

أخلوتَ من وَجْدٍ وَلُمتَ مُتَيَّماً وَلهانَ يُصبحُ بالغـــــرامِ وَيعْبقُ

وتفضح العيون المملوءة بالدموع الشاعر في حبه في حقيقة لايمكن نكرانها حتى من قبل الوشاة يقول الشاعر العراقي التلعفري[56]:

أُخفي الهـوى والدمعُ يُظهرهُ والــدمعُ يهتكُ ما أُسترهُ
والحبُّ قد شبتْ شـــواهدهُ بين الوشاةِ فكيفِ أُنكرهُ
ويـلاهُ كم يخشى فأَعـــــذرهُ ويزيدُ في ظلمي فأغفـرهُ
ما المــوتُ إلا حين أَفقـــدهُ والعــيشُ إلا حينَ أَنظرهُ

المبحث الثاني: الغزل الحسي(المادي)

ومن الملاحظ امتزاج الغزل العذري بالحسي في قصائد هذا العصر، لشحن التجربة الغزلية بطاقة شعورية أخرى امدتها تلك العلاقة المعنوية بالمادية معاً، يقول الشاعر العراقي التلعفري واصفاً محبوبته ومتشوقاً لها[57]:

ضَـــرَّةَ الشَّمسِ بي إليكِ غـــرامُ واشتياقٌ ولـــــــوعـةٌ وهيامُ
ما رأينا مــن قبـلِ قـــــدَّكِ غُصناً يتجلَّى عليـهِ بـــــدرٌ تَـمامُ
كلَّ يــومِ يـــزيدني منكِ وجداً بعضه فيـــــهِ حارتِ الأفهامُ
فوَّقتْ نحـــــو مُهجتي عن قِسيٍّ مُــوتَراتِ من حاجبيكِ سِهامُ
وتساوى في الجِسمِ منّي وفى جَفْ نَيكِ والخصْرِ والــودادِ سَقامُ
صَدق القائلـون: ما للغـــــواني حيثما كنَّ مَـــــوثِقٌ وذِمامُ

إذ يتشوق الشاعر لمحبوبته واصفاً ما يعانيه من شدة اللوعة والعذاب وفي الوقت نفسه يتغزل بجمالها في إعجاب شديد.

ومن نماذج نصوص جمع الشعراء لما هو معنوي ومادي[58]، قول الشاعرالأربلي[59]:

هو الوجدُ لـــــولا ما تَجنُّ الجـــوانحُ لما روت السفحَ الدموعُ الســوافحُ
ولـــــولا الهوى العذريُّ لم تدكُ لـوعتي وقد عنَّ برقٌ بالأبيرقِ لائـــــــحُ
أأحبابنا كيـــف اللقـــــــاءُ وبيننا نوىً لم تخدْ فيه الركابُ الطـلائحُ
وأسمرُ سمر الخط والبيضُ دونـــــــه وحمر المنايا رُعفٌ ورواشـــــــحُ
من الهيفِ لو لم تعطف الـــــريحُ عِطفهُ لما كنتُ فيـــــه للنسيمِ أُطارحُ

إن وضع الابيات بهذا الشكل قد يدفعنا إلى القول إنَّ المادية لم تكن الغرض المنشود بل كانت ((وسيلة يصلون من خلالها إلى جمال النفس والطبائع))[60].

وتدفع تلك المادية في الصفات الجمالية إلى فرض لون اخر تتحرك به مشاعره نحوها غير اوصافها المعنوية وهو التغزل بشكلها الخارجي بما من الله عليها من ابعاد خلقية جميلة، في فن غزلي عرف بالغزل الحسي وهو لون ((أساسه حب تمتزج به ميول شهوانية أو عواطف خالية من التحرج، وأوصاف ربما لا يرضى عنها إلا أنصار الأدب المكشوف))[61]، فيعول الشاعر الشامي نجم الدين الدمشقي بهذا اللون وصف جمال محبوبته وسط حسد الشمس والقمر قائلا[62]:

أنتَ الذي حَسدَتـهُ أقمارُ الدُّجى وقـوامُ غصنِ البانـةِ الميَّادِ
والشمسُ والقمرُ المنيرُ وناظرُ الظْـ ـظبيِ الغريرِ لـه من الحُسّادِ

فمحبوب متفرد الصفات جميل، كظبي غرير وقوامه كغصن البان، ومن جماله يغار الكون منه.

ولم يختلف منظار الشعراء في التغزل بالمرأة فهذا اللون المنصب على جسدها والتغزل بعيونها ومفاتنها، وتجسيدها في اشعارهم، وباتفاق واضح بين البيئتين العراقية والشامية يقول الشاعر العراقي التلعفري[63]:

قاســـــوكَ بالبدرِ المنيرِ فأخــطأُوا والبدرُ يَعلمُ أنَّ وجهكَ أضـوأُ
وحَكوكَ بالغصنِ الرَّطيبِ ضـلالــه والغصْنُ منهُ قـوامُ قدَّكَ يَهـزأُ
يا أيُّــها الرَّيَّانُ مـــــنْ ماءِ الصِّبا قلبي إلى رشَفاتِ ثغـرك يَظمأُ
عَجبي لجفِنـــك كيف يُنكِـرُ قَتْلي وهو السَّقيمُ فكيفَ منها يَبــرأُ
ما ضرَّني سَهري وطرفُكَ في الدُّجا بحـلاوةِ النَّـــومِ اللذيذ مُهنَّأُ

فغزل الشاعر متوجه صوب جسد المرأة، فجمالها يفوق جمال البدر في ضوءه، ما بين عذاب الشاعر و لوعة الفراق و شدة الحب والعشق.

و أن المرأة االعربية التي كانت مدار شعر التغزل قد تغيرت في العصر الوسيط فحل محلها التغزل بالجاريات والأعرابيات وهن من جنسية فارسية أو هندية أو رومية، مكشوفات الوجه يخالطن الرجال ويجلسن بجانبهم، مع انعدام وجود مكان للمرأة الحرة في غزليات الشاعر انذاك، ويطالعنا الشاعر عز الدين الموصلي[64]، بقصيدة يصف المحبوبة بإطار حسي واضح، قائلاً[65]:

أَفْديك مِنْ ناشطِ الأجْفانِ في تلفي والسِحرُ يــــُـوهمْ طَرفيَّ انِها كَسلْت

وأوضحْ الحَسنُ لـــــو شاءتْ ذوائبهِ في الأَفقِ وَصلُ دُجا الظَلماءُ لأتَصلْت
مُعسل بنعاسُ في لَواحظـــــــــهِ اما تراها إلى كـل القلـــــوبِ حَلْت
مَنْ لي بألحاظٍ ظبي يَدعى كَســـــلاً وكَـمْ ثياب ضنى حاكتْ وكَـمْ غَزلْت
وخمرةٌ فَـوقَ خَديــهِ ومَرشفـــــــهِ هـذيْ مَحاسِنُها تَـزهـــو وذي ذَبُلت

فالشاعر يتغزل بحسية مفرطة، وكأنه في وصف مفاتن المرأة يقصد إلى نحت تمثال من الجمال لها يبرز فيها كل مفاتنها[66]، لذا فلا يتوارى الشعراء في وصف كل صفات الجمال المادية، في تغزلهم يقول الشاعر الشامي نجم الدين الدمشقي في محاسن محبوبته[67]:

يا من إليهِ فنـــونُ الحُسنِ تستندُ ومن على لُطفــه العُشاقُ تعتمدُ
مُضنى هـــواكَ فريداً في صبابتهِ وأنتَ بالحُسنِ والإِحسانِ مُنفردُ
سُبحانَ مطلعِ بدرِ التِّمِّ في غُصنٍ بثغــرهِ المِسكُ والصَّهباءُ والبردُ
ظبيٌ أنيسٌ وبستانٌ وبــدرُ دُجىً أنوارهُ في ظـــــلامِ الشَّعرِ تتقدُ

ويبدو أن شيوع الغزل الحسي بكثرة في هذا العصر كان مرتبطا بنوع ما بالارتزاق فهو وسيلة لكسب المال لدى الرؤساء والأغنياء لتمتعهم بذلك النعيم حصرا[68]، لذا لم يتورع الشعراء من العراق والشام عن((خلع قناع الحشمة والوقار ولج باب السخف والدعارة))[69]. ووصف اكثر الصفات المادية اثارة في المرأة، يقول الشاعر العراقي التلعفري[70]:

من لي بمرسلةِ الخيالِ وقد جلا بالوصلِ ليلَ السُّخطِ لألاءُ الرِّضا
لأُعيدَ رُمان النهـــــــودِ مُكسرا منها وتُفاحَ الخُـــــدودِ مُعضَّضا

وقد يكون جمال الفم وطيب رائحته الركن الاساس في التغزل بالمرأة[71]، كقول ابن زيلاق[72]:

وفم عذب وثغر أشنب خصر من برده يشفي الغليل

ويجمع الشاعر الأربلي بين اوصاف الحبيب والخمرة بقوله[73]:

للهِ كمْ من ليلةٍ عاطيتــهُ كأساً لها من وجنتيــه لهيبُ
حمراءَ قابلها بوردةِ خدهِ فتشابه المشمومُ والمشروبُ

ويتفق الشاعر الشامي بتلك المزاوجة الجمالية بين الخمرة وعذوبتها وجمال محبوبته، كقول نجم الدين الدمشقي[74]:

بدر تمٍ يغني عن السَّمــعِ والأز هارِ والخمرِ وجههُ ورضابُـهْ
عذبَ اللَّفظُ فيه والـوصلُ حتى صار عذبا للصبِّ فيه عذابُهْ

بل ويستغرق الدمشقي بأوصاف الخمرة الجمالية عندما يمزجها مع اوصاف الطبيعة عندما يصف زيارة الحبيب وسقايته للخمر قائلاً[75]:

زارنا البدرُ في ظـلامِ الدياجي وقـضـــــيبُ الأراكِ في الأوراقِ
وسقانا من خمرِ عينيـــــهِ كأساً قتلتنا سُكـــــــــراً بِحبِّ الساقي
فـــــرعى اللهُ زائراً هتكَ اللّيْـ ـلَ بوجهٍ كالشمسِ في الإشــراقِ
أحرقتنا لُقياهُ بالشــوقِ فاعجبْ من لقاءٍ يزيدُ في الأشـــــــواقِ

ومن الملاحظ فيما سبق أن الشاعر يخاطب محبوبته بضمير المذكر إذ اختفى التأنيث في خطابها وكأنه يخاطب رجلا، ولعل السبب ((احتجاب المرأة، وحجرها في دارها، وعدم السماح لها بمخالطة الرجال ومجالستهم حتى المقربين منها منع الشعراء التغزل بها صراحة، حفظاً لسمعتها وخشية من أهلها، فاتخذوا الغزل بالمذكر وسيلة يلمّحون به لحبيباتهم عن شوقهم ومودتهم لهن)) [76]، فالأمر كله يعود إلى احتجاب المرأة[77]، وامتناع الشعراء عنها والتغزل بها والاستبدال بلون غزلي جديد برز في تلك الفترة.

ويبدو أن تحفظ المجتمع على المرأة بأعرافه، قد حجبها عن رؤية الشاعر، لذا لجأ إلى التغزل بها رمزا وخفيه وراء اساليب مقنعة للأخر بأن لا وجود لها في غزله، بمناداتها بضمير المخاطب، ويبدو أن أكرام المرآة واحترامها بهذا الضمير المذكر والخوف عليها مِنْ الفتن التي كانت عاصِفة في ذلك العصر، قد فتح الباب على نمط ثالث للغزل الا وهو الغزل بالجنس الذكري أو ما يسمى بالغزل بالمذكر في اكثر الانماط الغزلية بروزا و توظيفا لدى شعراء العصر الوسيط.

المبحث الثالث: الغزل بالمذكر

الغزل بالمذكر ظاهرة ليست بالجديدة فقد عرف هذا الغزل لاول مرة عند شعراء بني العباس وتحديداً لدى الشاعر أبي نواس[78]، ممن عرفوا بالخلاعة والمجون وسط شيوع الشذوذ في المجتمع العربي واختلاط العرب بالأمم الأخرى كـ ((الاتصال بالفرس وتأثر المجتمع العربي العباسي بعاداتهم وأفكارهم))[79]، فضلاً عن أن ظهوره الشاذ مثل بعد الطبقة

المترفة عن الخلق العربي الأصيل، وضعف الوازع الديني الذي يحول بينهم وبين الانحراف، لتعلو الافق تصريحات الشعراء الفاضحة لميلهم للغلمان اكثر من الجواري من النساء.

ونالت ظاهرة التغزل بالمذكر عناية الدارسين والباحثين الذين بحثوا عن سبب ظهورها في العصر الوسيط في فترة التي انمازت بسوء اوضاعها الاقتصادية والاجتماعية، فهي لا تعد ارضية خصبة لنمو هذه الظاهرة التي ترتبط بالمجتمعات المترفة والمتحضرة[80]، الا أنّ عد الغزل بالمذكر ((ثمرة من ثمار التسامح السياسي الذي أفضى إلى إعلان غرام الشعراء بالغلمان دون حياء))[81]، مع تبدل الأذواق((التي ملت التغزل بالمؤنث وبدأت تضيق به))[82] قد يدفع الى نموها في العصر الوسيط، فضلاً عن تواجد الغلمان بصورة كبيرة كسلعة رائجة في سوق النخاسين وغيرها من الأمور التي دفعت الشعراء إلى تفضيل الغلام على المرأة فهذا الشاعر العراقي ابن زيلاق يعلن أن محبوبه عنده اجمل من (علوى، سعدى، أسما) قائلا[83]:

بديع الحسن من ترك وروم تفـــردْ
رشا للأسد بالطــرف السقيم تصيــدْ

***

من القمرين بالأنـــــــوار أســمى
ومن علـــــوى ومن سعدى واســما
حبيب فاتـــــــرُ الأجـفـان ألمـــى
حوى في وجنتيـــــــه النار والمـــا
فقلبي من هواه في الجحيم مخلـــدْ
ومن رؤياه طرفي بالنعيـــــم تـــرددْ

وربما كان لتراجع مركز المرأة بسبب كثرة الجواري من الغلمان، وإيغال الطبقة الحاكمة في الحضارة والترف، واندفاع الشعراء إلى البحث عن متع جديدة مبتكرة فانبرى شعراء العصر الوسيط إلى التغزل بالمذكر في تقليد لمن سبقهم من شعراء في العصر العباسي[84]، ولكن بمبالغة واضحة، فالشاعر الشامي نجم الدين الدمشقي تنثال عواطفه عند رؤية محبوبه قائلا[85]:

أثارَ الثَّلجُ نارَ الشَّــوقِ عندي ومِن عَجبٍ يُثيرُ الثّلـجُ نارا

غدا سبباً بِخُلْفِ الــوعدِ مِمَّنْ قلوبُ بني الغرامِ له أسارى
غـــــزالٌ خـــدُّه وَردٌ نَضيرٌ أدارَ عليهِ من آسٍ عِـــذارا
يُرى في حُلــةٍ سوداءَ يبــدو كبدرِ التِّـــمَّ في ليلٍ أنارا

فالثلج يثير نار شوق لمحبوبه الجميل في صفات حسية فهو كالغزال والبدر المضيء لظلام الليل في نزعة نفسية لم تكن مقبولة في المجتمع العربي وتقاليده.

ويؤثر الشاعر العراقي والشامي في التغزل بالمذكر استدعاء صورة الانثى الخيالية أو الواقعية ((في طريقة تصوير الاوصاف الجسدية والتغني بالمفاتن، حتى أنه في بعض الأحيان يلتبس على القارئ –معرفة– نوع الغزل، أهو أنثوي أم غلامي؟ مالم تكن هناك قرينة تدل على المراد منه))[86]، يقول الشاعر العراقي التلعفري[87]:

ورشيقُ القـــــوامِ قدْ رشقتني عن قِسيٍّ من حاجبيــهِ نبالُ
في لماهُ خمرٌ حرامٌ وفي اجــ فانهِ الفاتراتِ سِحرٌ حـــلالُ
قمرٌ للمــحاقُ منَّي في الجســ مِ ولكنْ لـــهُ السَّنا والكمالُ
مُستبيحٌ حمى القُلـــوبِ بِأَوصا فِ لهذا الجمالِ منها جمالُ

فالشعراء ذكروا الخال والشامة، كما ذكروا الوجنة وتغنوا بجمالها، والقوام ورشاقته، وغير ذلك من المعاني الحسية التي رأيناها في الغزل بالمرأة في معرض تغزلهم بالغلمان.

وامام هذا التوظيف الغزلي لضمير المخاطب الذكري، تعترينا الحيرة في معرفة جنس المتغزل به في مدار التحرج بذكر المرأة صراحة، ومناداتها بالضمير المذكر بدلا عن ذلك، الا إن اقتران الغزل بالمذكر بالصفات الذكرية كـ (العذار، العارض، الصدغ، قوة العضلة، الاسم) قد وضع حداً لتلك الحيرة وامام هذه النتيجة يقول الشاعر العراقي أبن زيلاق متغزلاً بملامح محبوبه [88]:

وليلــة زارني فيـــها الحبيب فلي شمل به ويجمع القــوم ملتئم

فقدت نـــــومي لكن من محاسنه علمت بلذيذ النـــوم أتهـــم
أن يسرق النوم من عيني فلا عجب اللام والصاد منه عارض وفــم
ولــو علقت بـــواو الصدغ ثم بــه للقلب وصل وزالت بيننا التهم

فشكل (اللام والصاد في العارض– و الواو في الصدغ) قد رسم معالم جمال المحبوب، والكشف عن حقيقة المتغزل به وهو الغلام في توظيف فني بحروف.

ويؤكد إبن زيلاق تلك الصفات الذكورية، عندما نجده متغزلا في موضع اخر بمحبوب كلما مرت عليه السنون يزداد جمالاً، قائلا[89]:

ظناً أن نبت الخد منـــه يزيد فلا يكــون به التفات
فمر عليه حول بعد حــول وروضتــه تحار لها الصفات
ومن أضحى بناظره فتــور فما يزكـــــو لعارضه نبات

فالعذار والعارض صفات مقترنة بصميم حياة الرجل وطبيعة ملامحه الشكلية، لذا ترد كثيرا في تغزل الشاعر بالمذكر في فصلها لغزله بالمرأة ويكشف الشاعر العراقي التلعفري بدوبيت غزلي تلك الصفات، قائلاً[90]:

في خَدك وردٌ ماؤهُ مرشوشُ في فيك فعندي منهما تشــويشُ
والرِّيقـــــةُ ماءُ خَمرٍ كرمتهُ صُدغاكَ ومِن عارضيكَ التَّعــريشُ

فالشاعر يتغزل بالخدود واصفاً إياها بماء الورد الذي يفوح عطره، والريق بطعم الخمر والعارض في حسية مفرطة، ازاء التغير المتوالد من مؤثرات العصر فما ((يطرأ على الذوق ومقاييس الجمال النسوي من تغيّر بتغيّر الحياة، وتطوّر صور الحضارة، ونلحظ هذا نفسه حتى في غزل المذكر وذكر صفات المحاسن في الغلمان))[91].

ويتفق الشاعر الشامي في هذا التغزل والوقوف على تلك الصفات يقول الشاعر نجم الدين الدمشقي[92]:

ديباجُ خدكَ بالعـــــــذارِ مُطرزُ وشبيهُ حُسنك في البرايا معجزُ
وبوجهك الـوردُ النَّضير فوردهُ الـ ـمحمرُّ بالآسِ الجـــنيِّ مغرزُ

وفي ذوبان الشعراء في متغيرات العصر الوسيط، بدا التكلف والصنعة في تغزلهم، وتصوير ما يعانونه في الحب في ضوء امكانية رفد غزلهم بمعالجات جديدة، قد تفردهم عما سبق نظمه في العصر العباسي، وفي إطار ذلك التكلف نجد الشاعر الشامي نجم الدين متغزلاً بمليح قائلاً[93]:

يا أميرَ الملاحِ عـــدلاً فقد جا رَ علينا من قدِّكَ الاعتـــــدالُ
و وليَّ الجمالِ أجمــلْ فلا يُنْـ ـكرُ منـــك الجمالُ والإجمالُ

عَثْـــــرةُ العاشقين ليس تُقالُ فتَعطَّفْ وهَـــبْ لنا ما يقـــالُ
وإذا ما دَجى الظـلامُ فَزُرْ فيـ ـهِ فللبَـــــدْرِ في الدُّجى إقبالُ
وإذا ما بدا الصباحُ فكُنْ شمـ ـساً فَلِلشمسِ مِن سَناكَ جَمـــالُ

فالشاعر يُهيء لنا جوا حسياً في تغزله بالمحبوب، فهو جميل بتكرار لفظة الجمال بمعان مختلفة، فيناديه مشبهاً أياه بنور الشمس في الصباح وبالبدر في الظلام.

ويبدو مقبولا القول إن الشاعر قد فضل التغزل بالغلام على المرأة في ظل خروج واضح عن حدود الاتباع[94]، إلى حد قد تظهر فيه ملامح الدعابة والألغاز[95]، يقول الشاعر العراقي ابن الظهير الأربلي[96]:

ورُبَّ ظبي أنسٍ حشاشتي ملكتهُ
أسقيتـه أسكرتهُ هَيَّجتُه حـــركتُهُ
نادمتـهُ أَعجبتُه حدثتُهُ أضحكتهُ

إن متغيرات العصر كفيلة بتقديم ملامح جديدة للغزل بالمذكر، فالغزو المغولي والتتري طرح للمجتمع اجناسا غزلية حلّت محلا عذبا في غزليات الشعراء ولعل شعراء العراق كانوا الاكثر في التغزل لهم، فها هو بهاء الدين الاربلي يتغزل بصبي تركي قائلاً[97]:

مِن التُّرْكِ فيهِ نخْوةٌ وتواضعٌ فألحاظهُ تُصْمي وألفاظـــــهُ تُصبي
يُغيرُ على لُبِّي خَفاجيٌّ طرفِهُ وَيُسْلمني لِلحَتفِ في السِّلْمِ والحربِ

ويتفق ابن زيلاق في تحديد جنس محبوبه في ظل شكواه من عذاب الهجر[98]:

إلى الله أشكـــو هاجري ومعنفي عليهِ فكل جائر في احتكامــه
حبيب نأى عني الكرى بمـــلاله وواش دنا مني الأسى بمـلامه
غريب المعاني قام عــذر صبابتي بحسن عذاريه ولين قـوامـــــه

فهو يشكو إلى الله هجر محبوبه عنه، متغزلا بصفاته فهو لين القوام، حسن العذار، غريب المعاني بدلالة سمعية واضحة عن ابتعاد أصله عن العربية.

اما الشاعر العراقي عز الدين الموصلي فيتغزل بخادم هندي ملك قلبه فانبرى قائلاً[99]:

تملك قلبي خادم قد هــويته من الهندِ معســول اللمى أهيف القد
أقول لصبي حين يرنو بلحظه خذوا حذركم قد سل صارمـه الهندي

إن التغزل بتلك الاجناس في ظل تغير بعض العادات والتقاليد لدى المجتمع العربي، قد يصل حد التصريح بأسمائهم في واقعية ذلك الحدث العاطفي فلربما ((عدم وصول اخبار العشاق في العصر الوسيط لا يعني مطلقاً خلو ذلك العصر منهم))[100]، ومن تلك القصص ما تغزل به الشاعر العراقي ابن ظهير الأربلي بغلام احبه اسمه مسعود، قائلا[101]:

يا أُمناءَ المِـــلكِ قلبي إلى لقياكم مأسورُ أَشْـــــواقِهْ
ما فيكم إلا امـــــــرؤٌ فاضلٌ يَزهو على الرَّوضِ بأخلاقهْ
مسْعُــودُنا الذِّمِّيُّ في حبسِكم وصَبْرُهُ واهٍ كميثاقـــــــهْ
أطلقتم الأدمُــعَ في حَبْسِـــه فَقيِّدوا الشكرَ بغطلاقـــــهْ

فيتغزل بغلام اسمه (مسعود) لما رأى فيه من أخلاق عالية، تأسر لباب قلبه وشغاف روحه.

ولعل العيب الخلقي لم يمنع شاعر الشام من التغزل بالغلمان فالشاعر نجم الدين الدمشقي تغزل بمليح أعور العين قائلاً[102]:

ومُصابٍ بعينـهِ قد أصابتْ ـهُ عُيونُ الورى لِفَرْطِ الجمالِ
رامياً للقلوبِ من فردِ عَينٍ فَـرْدَ سهمٍ يَفـــوقُ كُلَّ النِّبالِ

فيجمل الشاعر عاهة العور، بجعلها نتيجة نهائية لحسد الناس له بتفرده ولا سيما في السهام المنطلقة بسحرها من عيونه نحو القلوب.

ومن خلال ما تقدم من نماذج غزلية يشعر القارئ بأن الشاعر اكثر صلابة وثباتا في القدرة على الاتيان بصور جديدة للغزل بالمذكر وإن كانت ضرب من السذاجة والعبث بالتغزل الاعور من الغلمان.

إن تلك المحاولات في جمع الاجناس تحت لواء التغزل بالمذكر لم تكن قاصرة عن اضاءة الصفات الجمالية المفرطة في اطار التغزل الحسي، فنجد تركيزا لتفاصيل الغلام في صفات اصبحت محور اقوال الشعراء في الغزل بالمذكر، فهذا الشاعر العراقي عز الدين الموصلي يتغزل بمليح وطرفه الاحور قائلاً[103]:

لك طرف أحور حمى من حسنك السرحة
كم قد أغار علـى العشاقِ في صبحـــــــه
لما علمت بأنـــــو سابق اللـمحـــــــه

عليه خفتُ فشطبتو على الصحـــــــــة

ويبدو أن للتجديد في بنائية تلك الابيات نصيباً أيضاً، فالشاعر صّب هيامه وعشقه وغيرته على المحبوب في نوع من أنواع الزجل عرف بالمواليا ضمن استحداث بنائي جديد للتنويع الموسيقي بالخروج على المألوف، واتاحت الفرصة له بمزاوجة لغته بالألفاظ الجارية ضمن تخاطب العوام من الناس[104]، في التعبير عن مشاعره لاسيما بلفظة (فشطبتو) في سياق الالفاظ العراقية الدارجة.

اما الشاعر الشامي نجم الدين الدمشقي، فيصور جمال غلامه وقوة لحظه وتورد خدوده، ودقة قده بألوان الطبيعة بالقول[105]:

وغصنِ بانٍ مُزهِـرٍ خَـــدُّه بالوردِ والأجفانُ بالنـرجسِ
يرْشُقنا من لَحظِـــه أسْهُماً يُرسِلُها من حاجِبيـــه قِسِي
أشبهَ غصنَ البانِ قَدّاً كما أشبَهَـــهُ في خُضرةِ الملبسِ

فلا تكاد تخلو قصائد شعراء العراق والشام من التغزل المكشوف بالمذكر في وصف رغبات حسية لا تأدب ولا حشمة في نظمها، ومنها قول الشاعر العراقي ابن الظهير الاربلي [106]:

أراقَ دَمي عمداً بسيف لحاظـه وأَرَّق أَجفاني القريحةَ صـــــدُّهْ
وفـرَّق بين القلبِ والصبر حُبُّـــه وأَلفَ بين الماءِ والنَّارِ خـــــدُّهْ
جفاني فأفْنى وهـو دانٍ تجلُّدي وكـــــنتُ لأيامِ الثنائي أَعـــدُّهْ
وكم ليلةٍ وافى على غيرِ مَـــوعدٍ سُحيراً وجُنْحُ الليل قدْ رَقَّ بردُهْ
فأرشفني من ثغـــرهِ البرد الذي أعادَ سَـــــــــلاماً نارَ قلبي برْدهْ

لقد اندفع الشعراء في العصر الوسيط إلى تلوين اشعارهم بهذا اللون الغزلي وبشدة، تعكس ضعف النزعة الدينية لديهم متخطين به كل المعايير الاخلاقية والمجتمعية، ففي هذا العصر قد رأينا رجالاً وُسِموا بالورع والتقوى يكثرون من هذا النوع من الغزل، بل يفحشون في ذلك إفحاشاً كبيراً، والشاعر العراقي ابن الظهير الأربلي يتغزل وبصراحة مكشوفة بهذا اللون الغزلي هاتكاً الوقار ورافضاً الذم والمدح من الشعر بقوله[107]:

واخلع عِـــذارك في مَحلَّ ريُّه برذاذِ دمعِ العاشقين وَسحّـــهِ
وإذا سَرى سَحَراً طليـــح نسيمه مالتْ به سكراً ذوائبُ طَلْحِـــهِ

فدع الــوقارَ بحبٍّ ساكنــهِ ولا تَحفل بذم أخي الوقار ومَدحــهِ

ونلاحظ مما تقدم أن الشاعر العراقي أول من استقل هذا اللون من التغزل بالجواري من الغلمان لكثرة الاحتلالات المتعاقبة عليه وما خلفه من اختلاط بالأمم الأخرى، وفي المقابل نجد محاولات الشاعر الشامي الافلات من طوق التغزل بالمرأة إلى الرجل بنصوص حسية متخطّيا بها العقبات الاجتماعية والاخلاقية في عصره.

الخاتمة:

إن الموازنة من المظاهر النقدية المهمة في تميز الجودة الشعرية والإمكانية الفنية للشعراء وفي دفع تمايز شاعر على شاعر آخر، لذا فإن تفصيل دراستها في الميادين البحثية امر مهم لدفع الباحث لإرتداء جلباب الناقد للمضي بذلك الدرب الذوقي الدقيق، فكشفت الدراسة عن التقاء مصطلح الغرض الشعري بالهيمنة الشعرية في نظم الشاعر لغرض شعري أو المبالغة بنظمه اكثر من الأغراض الأخرى في الديوان بنسبة لا بأس بها، فالهيمنة ليست هي الغرضية الواحدة وإنما هي جزء مهم منها وبنسب متفاوتة لا بأس بها، من خلال الإحصائية الشعرية والجرد الدقيق ثبت خلو شعر العصر الوسيط من شعراء الغرض الواحد كما وجدناه في العصور السابقة وإنما وجدنا غلبة أو هيمنة لغرض ما دون غيره في الديوان الشعري، ففي غرض الغزل وهو محور الدراسة نجد الشاعر العراقي قد تغزل بالمذكر والغزل الصريح لتعدد مجتمعه واختلاطه بأجناس مختلفة وكثرة الغزوات مع وجود الغزل العفيف الذي مثل الجانب الأكبر من نظمه، بينما نلاحظ على الشاعر الشامي قلة الغزل بالمذكر والصريح لاحترام المرأة وعدم وجود ذلك الاختلاط والامتزاج الحضاري، كما في العراق طغت ظاهرة المقطوعات على الشاعر العراقي بنظم الغزل و بشكل ملفت للنظر مع نظم على فنون جديدة مستحدثة كالمواليا والدوبيت.

هوامش البحث:

[1]– ينظر: الشعر والشعراء: 14–15.

[2]– ديوان الشعر العربي: ج20/1. ينظر: المعجم المفصل في الأدب: ج670/2. ومعجم مصطلحات الأدب: 295.

[3]– ينظر: تاج العروس: و لسان العرب: والمعجم الوسيط: مادة غزل.

[4]– مقدمة القصيدة العربية في الشعر الأندلسي: 21.

[5] – ينظر: آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي: 138.

[6]– العمدة: ج116/2.

[7]– نقد الشعر: ١٤٠، ينظر: العمدة: ج117/2.

[8]– مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني: 117.

[9]– ينظر: نحو فهم جديد منصف لأدب الدول المتتابعة وتاريخه: ج303/1.

[10]– الدوبيت: من الفنون المستحدثة ومعناه البيتان في الفارسية، واصطلح عليه بالرباعية لإنه مؤلف من أربعة مصاريع وسموا الواحدة منه رباعية يراعى في الاول والثاني والرابع قافية واحدة، ووزن الدوبيت: فَعُلُن مُتَفاعلنْ فعولنْ فَعِلن فَعُلُنْ مُتفاعلنْ فعولنْ فَعِلنْ. (ينظر: العاطل الحالي والمرخص الغالي: 3. و ديوان الدوبيت في الشعر العربي: 40. و المواليا: نوع من أنواع الزجل ايضا وأول من نطق به أهل واسط، وقد اختلف في سبب تسميته بهذا الاسم، فقيل سمي به لموالات قوافيه بعضها ببعض، وقبل سمي بذلك لأن أول من نطق موالي بني برمك، وإذا نطق احدهم ونعى مواليه قال: يا موالي. في بحر من بحور الشعر البسيط، لايلتزم قوانين اللغة العربية من إعراب أواخر الكلمات، ويجوز فيه استعمال الألفاظ الجارية العامية (ينظر: العاطل الحالي والمرخص الغالي: 105، وسفينة الملك ونفيسة الفلك: 380. وفن التقطيع الشعري: 344).

[11]– اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري: 329.

[12]– ينظر: ملامح الشخصية العربية في الشعر العراقي: 173.

[13]– ينظر: تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام: 23. والغزل في العصر الجاهلي: 5.

[14]– الغزل منذ نشأته حتى صدر الدولة العباسية: 5.

[15]– نجم الدين الدمشقي: هو محمد بن سوار بن إسرائيل بن الخضر بن إسرائيل بن الحسن بن علي ابن محمد بن الحسين نجم الدين أبو المعالي الشيباني الدمشقي، ولد في دمشق سنة(603هـ)، وتوفي سنة (677هـ)، (ينظر: ذيل مرأة الزمان: ج405/3، و فوات الوفيات: ج383/3: و وفيات الأعيان: 142، نهاية الأرب: ج391/30، البداية والنهاية: ج470/15، والوافي بالوفيات: ج144/3).

[16]– ديوان نجم الدين بن سوار الدمشقي: 372.

[17]– ديوان نجم الدين بن سوار الدمشقي: 368–369.

[18]– ديوان نجم الدين بن سوار الدمشقي: 601.

[19]– ينظر: العاطل الحالي والمرخص الغالي: 3، ديوان الدوبيت في الشعر العربي:40.

[20]– شهاب الدين التلعفري: هو شهاب الدين ابو المكارم محمد بن يوسف بن مسعود بن بركة بن سالم بن عبد الله بن حساس بن قيس بن مسعود بن محمد بن خالد بن يزيد بن مزيد بن زايدة بن مطر بن شريك بن عمرو بن قيس بن شراحيل بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان ابو عبد الله بن أبي المحاسن الشيباني التلعفري الموصلي، ولد بالموصل سنة (593هـ)، واجمع الرواة على وفاته في حماة سنة(675م)،(ينظر: الروضتين: ج157/3، وفيات الاعيان: ج404/4 وما بعدها و ج37/3، و الغصون اليانعة: 59، و التذكرة الفخرية: 16و145، وذيل مرآة الزمان: ج218/3، و المختصر في اخبار البشر: ج10/4، والوافي بالوفيات: ج255/5 وما بعدها و

ج301/21–302، و فوات الوفيات: ج2/57–58، و البداية والنهاية: ج17/526–527، و كشف الظنون: ج6/132، و الاعلام: ج7/151).

[21]– ديوان التلعفري: 268.

[22]– ابن الظهير الأربلي: محمد بن أحمد بن عمر بن أحمد بن شاكر المراكشي الملقب بمجد الدين ولد سنة (602هـ) في أربل في العراق، توفي سنة(676هـ)،(ينظر: عقود الجمان: ج7/71–89، وذيل مرأة الزمان: ج3/386–405، وفوات الوفيات: ج2/356–366، وعيون التواريخ: ج21/185، شذرات الذهب: ج5/356، كشف الظنون: ج1/767).

[23]– ديوان ابن الظهير الأربلي: 186.

[24]– ديوان الشهيد ابن زيلاق الموصلي: 121.

[25]– دراسة الحب في الأدب العربي: 137.

[26]– ديوان نجم الدين بن سوار الدمشقي: 235.

[27]– ديوان التلعفري: 146.

[28]– الزهرة: 155.

[29]– ديوان ابن الظهير الأربلي: 66.

[30]– ديوان الشهيد ابن زيلاق الموصلي: 103.

[31]– ديوان نجم الدين بن سوار الدمشقي: 131.

[32]– ديوان نجم الدين بن سوار الدمشقي: 150.

[33]– طيف الخيال: 4.

[34]– طيف الخيال:27.

[35]– ديوان ابن الظهير الأربلي: 99.

[36]– طيف الخيال: 4.

[37]– ديوان التلعفري: 198.

[38]– ديوان نجم الدين الدينبن سوار الدمشقي: 664.

[39] – ديوان التلعفري: 168.

[40] ينظر: الشعر العربي في العراق وبلاد العجم: 379.

[41] – ينظر: اتجاهات الشعر العربي في العراق: 243.

[42]– ينظر: الغصون اليانعة في أدب العصور المتتابعة(من بداية الحروب الصليبية حتى نهاية الدولة المملوكية): 282.

[43]– ديوان ابن الظهير الأربلي: 74.

[44] – ديوان نجم الدين بن سوار الدمشقي: 580.

[45]– شعر العصر السلجوقي: 174.

[46]– الرومانتيكية، نشأتها، فلسفتها، قضاياها: 138.

[47]– ديوان التلعفري: 205.

[48]– ديوان نجم الدين بن سوار الدمشقي: 163.

[49]– شعراء امويون: ج264/1.

[50]– ديوان الشهيد ابن زيلاق الموصلي: 116.

[51]– ديوان التلعفري: 194–195. نعمان: وادٍ لهذيل، الروادف: مفرد ردف وهي الأعجاز، يبرين: اسم لأمكنة في الجزيرة العربية وهي من قري حلب.

[52]– الغزل السياسي في العصر الأموي: 5.

[53]– ديوان نجم الدين بن سوار الدمشقي: 220.

[54]– ديوان نجم الدين بن سوار الدمشقي: 278–279.

[55]– ديوان ابن الظهير الأربلي: 186.

[56]– ديوان التلعفري: 354.

[57]– ديوان التلعفري: 168.

[58]– ينظر: الغزل في العصر الجاهلي: 67. ورسالة الطيف: 75، 78.

[59]– ديوان ابن الظهير الأربلي: 103.

[60]– حديث الأربعاء: ج230/1.

[61]– الأصول الفنية للأدب: 74.

[62]– ديوان نجم الدين بن سوار الدمشقي: 255.

[63] – ديوان التلعفري: 217.

[64]– عز الدين الموصلي: هو علي بن الحسين بن علي بن أبي بكر بن ابي الخير الحنبلي المعروف بالشيخ عز الدين الموصلي، ويكنى بالعز الموصلي توفي سنة(789هـ)، ينظر: (انباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ: 228، و خزانة الأدب وغاية الأرب: 321) وتم جمع شعره ينظر: شعر الشيخ عز الدين الموصلي وموشحاته: د. رضا محسن القرشي، بحث منشور في مجلة كلية الاداب، جامعة بغداد، ع28، 1400هـ–1980م.

[65]– شعر الشيخ عز الدين الموصلي وموشحاته: 362.

[66]– ينظر: مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي: 97، الغزل في العصر الجاهلي: 51.

[67]– ديوان نجم الدين بن سوار الدمشقي: 169.

[68]– ينظر: الادب العربي في العصر العباسي: 205. والاقتصاد واثره في شعر العصرين الاموي والعباسي: ع71/3.

[69]– الادب في العصر العباسي: 205.

[70]– ديوان التلعفري: 186.

[71]– ينظر: الغزل في العصر الجاهلي: 45.

[72]– ديوان الشهيد ابن زيلاق الموصلي: 128.

[73]– ديوان ابن الظهير الأربلي: 73.

[74]– ديوان نجم الدين بن سوار الدمشقي: 589.

[75]– ديوان نجم الدين بن سوار الدمشقي: 238.

[76]– في ادب العصور المتأخرة: 32، والغزل منذ نشأته حتى صدور الدولة العباسية: 11.

[77]– ينظر: المرأة في أدب العصر العباسي: 36–41.

[78] – ينظر: التطور والتجديد في الشعر الأموي: 318، و العصر العباسي الأول: 383، وأسطورة الأدب الرفيع: 71و الشعر العراقي في القرن السادس الهجري: 257، والحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي في مصر والشام: 40.

[79] – ينظر الشعر العراقي في القرن السادس الهجري: 257.

[80]– ينظر: اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري: 517.

1– اتجاهات شعر الغزل في العراق في العصر العباسي من أواسط القرن السادس الهجري حتى أواسط القرن السابع الهجري: 68.

[82]– الشعر العراقي في القرن السادس الهجري: 263.

[83] – شعر الشيخ عز الدين الموصلي وموشحاته: ع380/28.

[84] – ينظر: أسطورة الأدب الرفيع: 71، و العصر العباسي الأول: 384.

[85] – ديوان نجم الدين بن سوار الدمشقي: 202.

[86]– الشعر في ظل بني عباد: 153.

[87]– ديوان التلعفري: 151.

[88]– ديوان ابن زيلاق الموصلي: 135.

[89] – ديوان الشهيد ابن زيلاق الموصلي: 93.

[90] – ديوان التلعفري: 469.

[91]– الأدب في العصر المملوكي: ج114/2.

[92]– ديوان نجم الدين بن سوار الدمشقي: 693.

[93] – ديوان نجم الدين بن سوار الدمشقي: 117.

[94]– ينظر: ادب الدول المتتابعة: 561.

[95]– ينظر: شعر الأطباء في العصر العباسي الثاني: 82.

[96]– ديوان ابن الظهير الأربلي: 99.

[97] – ديوان ابن ظهير الأربلي: 71.

[98]– ديوان الشهيد ابن زيلاق الموصلي: 139.

[99]– شعر الشيخ عز الدين الموصلي وموشحاته: ع362/28.

[100]– إتجاهات شعر الغزل في العراق في العصر الوسيط: 124.

[101]– ديوان ابن الظهير الأربلي: 187.

[102]– ديوان نجم الدين بن سوار الدمشقي: 244.

[103]– شعر الشيخ عز الدين الموصلي وموشحاته: ع369/28.

[104] – ينظر: العاطل الحالي والمرخص الغالي: 105، وسفينة الملك ونفيسة الفلك: 380، وفن التقطيع الشعري: 344.

[105] – ديوان نجم الدين بن سوار الدمشقي: 449.

[106]– ديوان ابن الظهير الأربلي: 122–123.

[107]– ديوان ابن الظهير الأربلي: 107.

مصادر البحث:

– اتجاهات الشعر العربي في العراق: (من سنة 656هـ – 800هـ): بلقيس عبد الله المحمدي، (رسالة دكتوراه)، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1983م.

– اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري: د. محمد مصطفى هدارة، مطبعة دار المعارف، مصر، 1963م.

– اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري: يوسف حسين بكار، ط2، دار الأندلس، بيروت، 1986م.

– اتجاهات شعر الغزل في العراق في العصر العباسي من أواسط القرن السادس الهجري حتى أواسط القرن السابع الهجري: زينب فاضل، (رسالة ماجستير)، كلية الآداب – الجامعة المستنصرية، 1421هـ–2000م.

– إتجاهات شعر الغزل في العراق في العصر الوسيط: طالب حميد خلف العيساوي، (رسالة ماجستير)، كلية التربية، جامعة بغداد، 1995م.

– ادب الدول المتتابعة: د. عمر موسى باشا، دار الفكر الحديث، دمشق 1967م.
– أسطورة الأدب الرفيع: علي الوردي، 71، ط1، منشورات سعيد بن جبير، 2000م.
– آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي: د. ياسين الأيوبي، جروس يرس، طرابلس– لبنان، 1995م.
– الادب العربي في العصر العباسي: د. ناظم رشيد، جامعة الموصل، 1989م.
– الأدب في العصر المملوكي: محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الأسكندرية، 1971م.
– الأصول الفنية للأدب: الأستاذ عبد الحميد حسن، نشرته مكتبة الآنجلو المصرية، 1949م.
– الأعلام: خير الدين الزركلي، ط7، دار العلم للملايين، بيروت، 1986م.
– الاقتصاد واثره في شعر العصرين الاموي والعباسي: د. قحطان رشيد، بحث مجلة آداب المستنصرية، ع3، 1972م.
– البداية والنهاية: أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر ابن كثير، ط3، مكتبة المعارف، لبنان، 1981م.
– التذكرة الفخرية: بهاء الدين الأربلي، تحقيق: د. نوري القيسي، د. حاتم الضامن، بغداد، 1984م.
– التطور والتجديد في الشعر الأموي: شوقي ضيف، ط2، دار المعارف، مصر.
– الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي في مصر والشام: محمد سيد الكيلاني، ط2، دار الفرجاني، القاهرة، 1984م.
– الذيل على الروضتين: شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، ط2، دار الجيل بيروت، 1974م.
– الرومانتيكية، نشأتها، فلسفتها، قضاياها: د. محمد غنيمي هلال، دار العودة ودار الثقافة، بيروت، 1972م.
– الزهرة: أبو بكر محمد بن داوّد الاصبهاني، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1932م.
– الشعر العراقي في القرن السادس الهجري: مزهر عبد السوداني، دار الرشيد للنشر، بغداد، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1980م.

– الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي: د. علي جواد طاهر، ط2، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، 1985م.
– الشعر في ظل بني عباد: د. محمد مجيد السعيد، النجف، مطبعة النعمان، 1972م.
– الشعر والشعراء: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، 1966م.
– العاطل الحالي والمرخص الغالي: صفي الدين الحلي، تح: د. حسين نصار، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1990م.
– العصر العباسي الأول: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر.
– العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ابن رشيق القيرواني ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط2،القاهرة، 1374هـ.
– الغزل السياسي في العصر الأموي: غانم جواد رضا، مطبعة جامعة البصرة، العراق، 1983م.
– الغزل في العصر الجاهلي: د. أحمد الحوفي، ط3، ١٩٧٢م.
– الغزل منذ نشأته حتى صدر الدولة العباسية: د. محمد سامي الدهان، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1979م.
– الغصون اليانعة في أدب العصور المتتابعة(من بداية الحروب الصليبية حتى نهاية الدولة المملوكية): د. حسن عبد الرحمن سليم، ط1، مطبعة جامعة الامارات العربية المتحدة، 1425هـ–2005م.
– المرأة في أدب العصر العباسي: د. واجدة مجيد عبد الله الاطرقجي، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، سلسلة دراسات، 1981م.
– المعجم المفصل في الأدب: محمد التويجي، ط2، دار الكتب العالمية، بيروت، لبنان،1990م.
– المعجم الوسيط: د. إبراهيم انيس، ط2، 1972م.
– الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أبيك الصّفدي، باعتناء: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1389هـ –1969م.

– انباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ: ابن حجر العسقلاني، ط1، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد، 1975م.
– تاج العروس من جواهر القاموس: أبو الفيض مُحبّ الدين السيد محمد مرتضى الزبيدي، ط1، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1306هـ.
– تتمة المختصر في اخبار البشر: زين الدين ابن الوردي، تحقيق: احمد رفعة البداوي، دار المعرفة، بيروت.
– تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام: د. شكري فيصل، ط5، مطبعة دار العلم، بيروت، 1964م.
– حديث الأربعاء: د. طه حسين، مطبعة دار المعارف، مصر، 1953م.
– خزانة الأدب وغاية الأرب: ابن حجة الحموي، شرح: عصام شعيتو، ط1، دار ومكتبة الهلال، 1987م.
– دراسة الحب في الأدب العربي: مصطفى عبد الواحد، دار المعارف، مصر، 1972م.
– ديوان ابن الظهير الأربلي: جمع وشرح وتحقيق: د. عبد الرزاق حويزي، مكتبة الآداب، القاهرة، 2006م.
– ديوان التلعفري: تح: د. رضا رجب، ط2، دار الينابيع، دمشق، 2004م.
– ديوان الدوبيت في الشعر العربي: د. كامل مصطفى الشيبي، منشورات الجامعة الليبية 1392 – 1972م.
– ديوان الشعر العربي: علي أحمد سعيد، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 1964م.
– ديوان الشهيد ابن زيلاق الموصلي: جمع وتح: د. محمود عبد الرزاق أحمد، و د. أدهم حمادي ذياب النعيمي، مطبعة الرشاد، بغداد،1990م.
– ديوان نجم الدين بن سوار الدمشقي: تح: محمد أديب الجادر، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1430هـ – 2009م.
– ذيل مرأة الزمان: : قطب الدين اليونني، ط1، حيدر آباد، 1954م.
– رسالة الطيف: بهاء الدين علي ابو الحسن الأربلي، تح: عبد الله الجبوري، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة، دار الجمهورية، بغداد، 1968م.

– سفينة الملك ونفيسة الفلك: محمد بن إسماعيل بن عمر،1281هـ.
– شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ابن العماد الحنبلي، تحقيق: محمود الأرناؤوط، إشراف: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق– بيروت، 1993م.
– شعر الأطباء في العصر العباسي الثاني: رافد رشيد، (رسالة ماجستير)، كلية التربية، جامعة بغداد، 1998م.
– شعر الشيخ عز الدين الموصلي وموشحاته، د. رضا محسن القرشي، بحث منشور في مجلة كلية الاداب، جامعة بغداد، ع28، 1400هـ–1980م.
– شعراء امويون: تحقيق: د. نوري حمودي القيسي، مؤسسة دار الكتب للطباعة، جامعة الموصل، 1976م.
– طيف الخيال: الشريف المرتضى، تحقيق: د. صلاح خالص، مطبعة دار المعرفة، بغداد، 1957م.
– عيون التواريخ: محمد بن شاكر الكتبي، تحقيق: د. فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم داود، سلسة كتب التراث، دار الرشيد للنشر، 1980م.
– فن التقطيع الشعري: د. صفاء خلوصي، ط4، بيروت،1974م.
– فوات الوفيات: ابن شاكر الكتبي، تحقيق: د. احسان عباس، دار صادر– بيروت، 1973م.
– في العصر السلجوقي: د. علي جواد طاهر، ط2، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، 1985م.
– كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: حاجي خليفة، مكتبة المتنبي، المعارف العباسية، بغداد،1941م.
– لسان العرب: العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور المصري، دار المعارف، القاهرة.
– مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني: د. بكري الشيخ امين، مط دار الشرق، بيروت،1972م.
– معجم مصطلحات الأدب: مجدي وهبة، مكتبة بيروت، لبنان، 1974م.

– مقدمة القصيدة العربية في الشعر الأندلسي: د. هدى شوكت بهنام، دار الشؤون الثقافية بغداد، 2000م.
– مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي: حسين عطوان، دار الجيل، بيروت.
– ملامح الشخصية العربية في الشعر العراقي: من 656–800هـ، د. أدهم حمادي ذياب النعيمي، ط1، 2008م.
– نحو فهم جديد منصف لأدب الدول المتتابعة وتاريخه: نعيم الحمصي، مديرية الكتاب والمطبوعات الجامعية، جامعة تشرين باللاذقية، سوريا، 1978–1979م.
– نقد الشعر: قدامة بن جعفر، تحقيق: كمال مصطفى، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1979م.
– نهاية الأرب في فنون الأدب: أحمد عبد الوهاب النويري، دار الكتب، مصر.
– وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس ، دار صادر، ودار بيروت، لبنان، 1977م.